

صديقي المستمع، بدأنا في اللقاء الماضي بدراسة الأصحاح الخامس من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

ولقد تحدث الرسول بولس في الجزء الأول من هذا الأصحاح عن بعض نتائج الإيمان بالمخلص يسوع المسيح، وهي حلول السلام وإتمام المصالحة بين الله والإنسان الخاطئ. والنتيجة الثانية هي أن يصبح الإنسان المؤمن في شركة أو علاقة روحية مع الله والده السماوي. وتحدث الرسول بولس أيضا عن تعرض المؤمن للضيق الذي ينشئ صبرا ثم تركية ورجاء. وأكد الرسول بولس على مدى محبة الله للإنسان وذلك عندما قال في آية ذهبية: "ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا". واستنتج أيضا أن خلاص المؤمن أمر مؤكد.

صحيح أننا كلنا كبشر خطاة، وبحاجة أن نؤمن بالخلاص الذي أعده الله لنا، عن طريق المخلص يسوع المسيح لكي ننجو من دينونته. لكن كيف دخلت الخطية إلى حياتنا؟ أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال الهام عندما كتب في العدد الثاني عشر قائلًا: "من أجل ذلك كانا بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع." يبدو واضحا من هذه الآية إذن أن الخطية دخلت إلى العالم عن طريق الإنسان الأول آدم. فعندما عصى آدم وحواء الله وكسرا وصيته، تحولت طبيعتهما من البراءة إلى الفساد، وأصبحت بالتالي طبيعة خاطئة.

وبما أن الجنس البشري بأكمله هو من نسل آدم وحواء فقد ورث عنهما هذه الطبيعة الفاسدة أي طبيعة الخطية، وأصبح الجميع خطاة. لكن ما علاقة الموت بالخطية؟ لقد أتى الموت كنتيجة للخطية أو عقاباً لها. فعندما خلق الله آدم وحواء حذرهما أنهما سيموتان إذا عصيا أوامرهم. وهذا الذي حصل فعلا، وأصبح الموت سنة من سنن الحياة. لكن ماذا يعني الموت بالمفهوم الإلهي؟ إن الموت يعني الانفصال. فعندما أخطأ الإنسان انقطعت العلاقة بينه وبين الله. أي انفصل عنه، وهو ما يسميه الكتاب المقدس بالموت الروحي. وعلى هذا الأساس يكون الموت الجسدي هو انفصال الجسد عن الروح. وبذلك كانت نتيجة الخطية هي الموت الروحي والموت الجسدي، وهو ما قصده الرسول بولس هنا.

لعلّ السؤال الآن هو: هل أدرك الإنسان منذ البداية حقيقة كونه إنساناً خاطئاً؟ لنقرأ ما كتبه الرسول بولس في العدد الثالث عشر من الأصحاح الخامس لعلّنا نجد الجواب عن هذا السؤال، إذ قال: **'فإنه حتى الناموس كانت الخطية في العالم. على أن الخطية لا تُحسب إن يكن ناموس.'** نستطيع شرح ما قصده الرسول بولس بالآتي: أنه إذا لم يكن هناك قانون معين في مسألة ما، فلن تكون هناك مخالفة. إذ لا أحد يستطيع أن يحاسب أي إنسان على كسره أو مخالفته لقانون غير موجود. وهذا ينطبق على علاقة الإنسان مع الله. ومن المعروف أن شريعة الله أو ناموسه لم تُعلن حتى مجيء النبي موسى. أي أنه لم تكن هناك شريعة إلهية تكشف للإنسان حقيقة خطاياهم. ونتيجة لذلك فإن البشر من آدم إلى موسى أخطأوا دون أن تُحسب الخطية ضدهم، لأنه لم يكن عندهم ناموس. ولا يمكن بالتالي إدانتهم لأنهم كسروا ناموساً أو شريعة لم تعط لهم. لكنهم ماتوا بالرغم من أن الخطية لم تُحسب ضدهم. أي ملك الموت عليهم رغم عدم اتهامهم بكسر الناموس أو شريعة الله التي لم تكن موجودة. فلماذا ماتوا إذن؟

بالحق إنه سؤال مهم. لكن الجواب كما كشفه الرسول بولس لنا، أنهم ماتوا لأنهم أخطأوا في آدم. لقد مثل آدم جنسنا البشري، ولهذا كانت خطية آدم سبب موتهم رغم أنهم لم يكسروا الناموس الذي لم يعرفوه. وهو ما أكدّه الرسول بقوله إنه في آدم قد أخطأ الجميع. ولهذا تابع في العدد الرابع عشر قائلاً: **'لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم الذي هو مثال الآتي.'**

لقد كانت نتيجة خطية آدم إذن أن أصبح جميع البشر خطاة، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى كل البشر. فهل هذا يعني أنه لا يوجد رجاء للإنسان الخاطيء؟ وأن مصيره الموت إلى الأبد؟ بالطبع كلا. بل على العكس تماماً. إذ هنا بالذات ظهرت نعمة الله المخلصة، ولهذا أتى المخلص يسوع المسيح، لكي يحرر الإنسان من عبودية الخطية ونتائجها، وليهبه الغفران والخلود. وهو بالضبط ما كتبه الرسول بولس إذ تابع في العدد الخامس عشر قائلاً: **'ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة. لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين.'** أي على العكس من خطية آدم التي أدت إلى موت الجميع، فإن نعمة الله التي ظهرت في المخلص المسيح ستعطي الحياة للكثيرين. أي على العكس من خطية آدم التي أدت إلى موت الجميع، فإن نعمة الله التي ظهرت في المخلص يسوع المسيح ستعطي الحياة للكثيرين.

ثم شرح لنا الرسول بولس ابتداء من العدد السادس عشر بالتفصيل هذه الحقيقة فكتب قائلاً: **'وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية. لأن الحكم من واحد للدينونة. وأما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير.'** لقد حُكم على الجنس البشري بأكمله بالدينونة بسبب خطية آدم. بينما تأتي الآن هبة الله لكي تحرر البشر من خطاياهم الكثيرة، وتمنحهم التبرير الكامل. أي يصبحون أبراراً بلا خطية أمام الله.

وأضاف الرسول بولس مؤكداً على عظمة نعمة الله في العدد السابع عشر فقال: "لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح." فمقابل الموت الذي كان نتيجة عصيان آدم نجد الحياة. أي عودة الحياة أو الصلة الروحية مع الله خالقنا، وفي نفس الوقت نقهر الموت الجسدي مع المسيح الذي قام غالباً منتصراً، وهكذا نحيا إلى الأبد.

ولكي يوضح الرسول بولس ما كتبه تابع في العدد الثامن عشر قائلاً: "فإذا كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة." فكما شملت الدينونة جميع الناس هكذا هبة الله بالحياة والتبرير، أي غفران الخطايا مقدّمة لجميع البشر.

لكن هل يستطيع أي إنسان أن يحصل على نعمة الله هذه وخلصه؟ نعم بالتأكيد، ولهذا كتب الرسول بولس في العدد التاسع عشر قائلاً: "لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً." على الإنسان إذن لكي يحصل على هبة الله بالحياة والتبرير، أن يؤمن بالخلص الذي أعده الله من أجله. أي يؤمن بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجله على الصليب. أجل، لقد حطمت الخطية حياة الإنسان، لكن المسيح جاء لكي ينقذ الإنسان ويحيي رجائه من جديد.

هناك سؤال قد يطرحه الكثيرون: لماذا أعطى الله الناموس أو الشريعة؟ وما هو دوره في حياة الإنسان؟ إنه بالفعل سؤال هام، وسبق للرسول بولس أن ذكر أن هدف الناموس هو أن يكشف لنا حقيقة نفوسنا الخاطئة. وتابع هنا مضيفاً حقيقة جديدة. وهي أن يدرك الإنسان مدى عظم شروره. أي كما كتب في العدد العشرين قائلاً: "وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطية. ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً." فبالناموس أو الشريعة يعرف الإنسان مدى عظم خطايه وكثرتها. ولكن في هذه الحالة تتجلى نعمة الله بشكل أعمق وأقوى، إذ هي قادرة على منح الخلاص والتبرير والغفران لأعتى الخطاة.

حقاً ما أعظم نعمة الله وما أدهشها. ولهذا ختم الرسول بولس الأصحاح الخامس بالقول: "حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا." نعم، فكما كانت نتيجة الخطية الموت، ستهب النعمة في المخلص يسوع المسيح البر الكامل والحياة الأبدية لكل من يؤمن. فهل هناك أعظم من هذه العطية؟

ألا ترغب صديقي المستمع أن تتحرر من الخطية ونتائجها القاسية؟ تعال بتوبة صادقة وإيمان قلبي أكيد بشخص المخلص يسوع المسيح وعمله الكفاري من أجلك. وعندها تنال نعمة الله وخلصه وغفرانه وتعيش إلى الأبد.